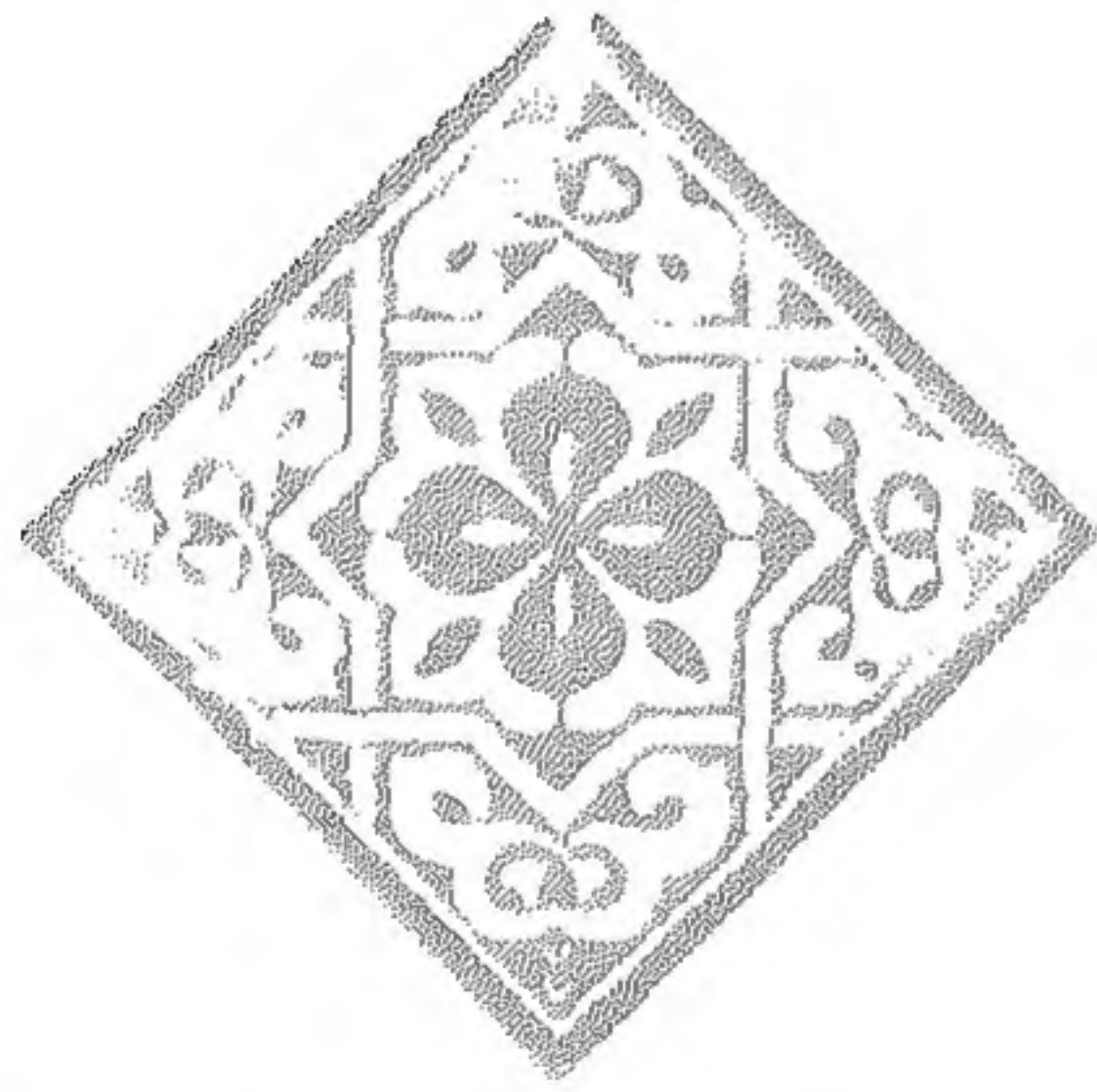
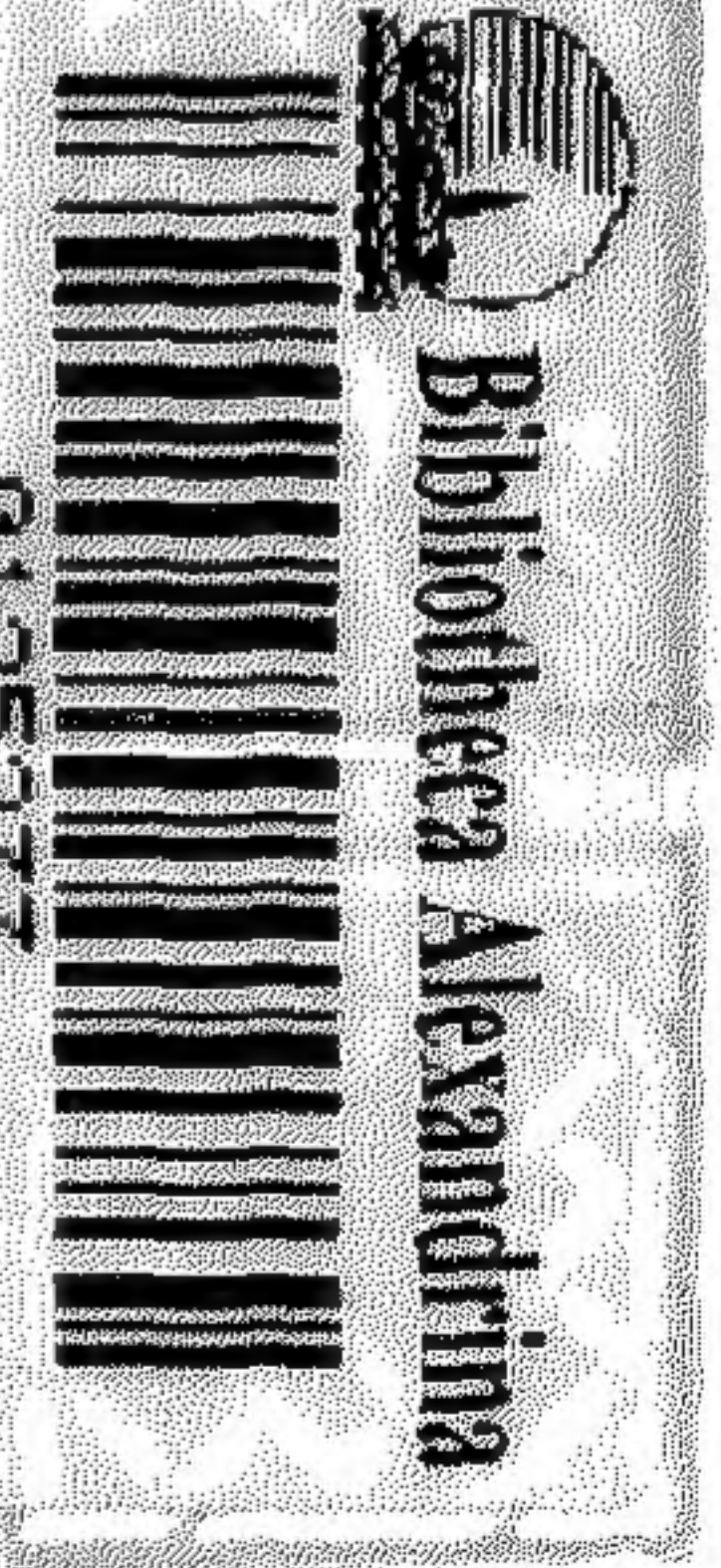
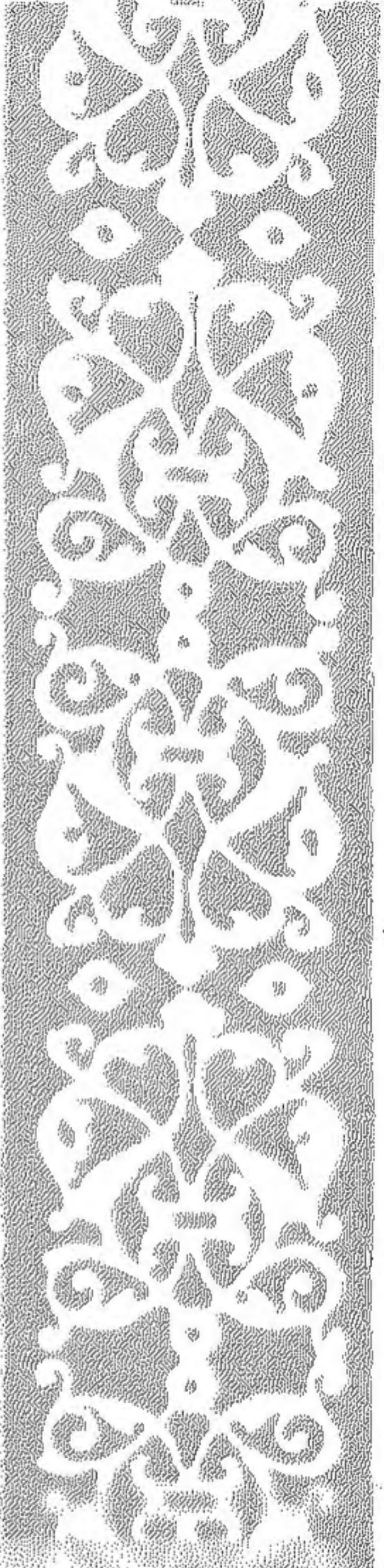
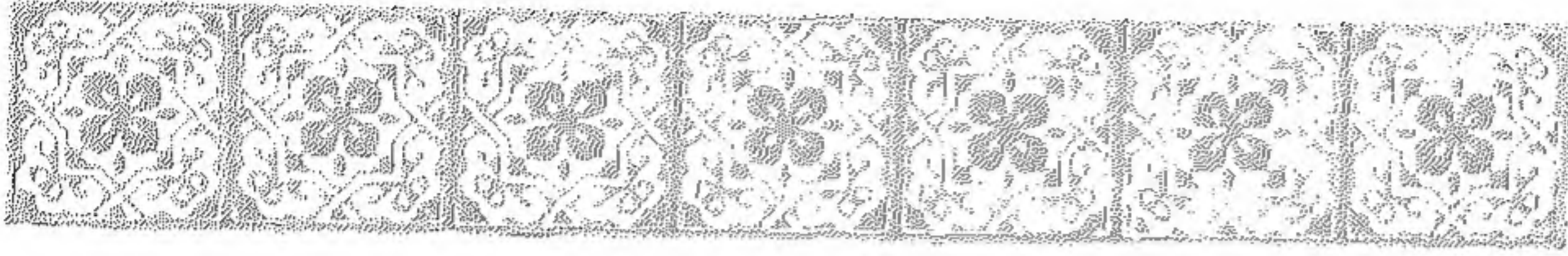
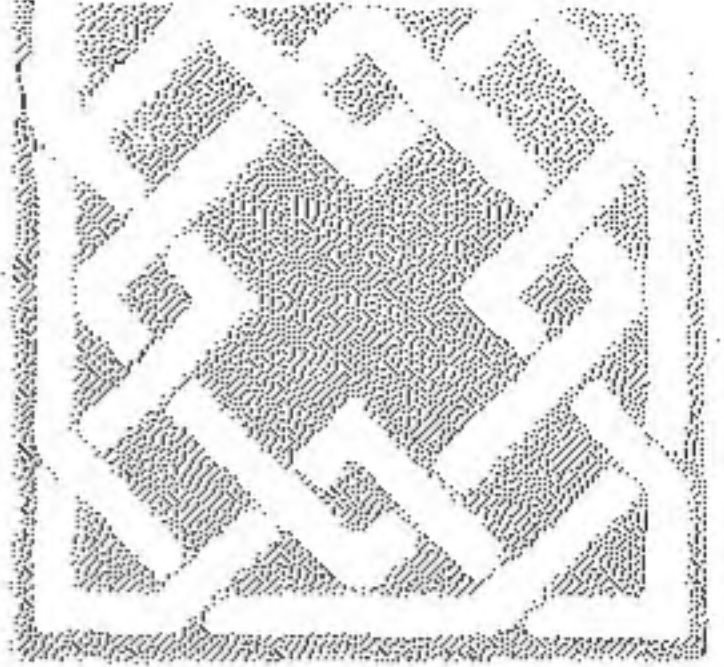


الدكتور محمد الربيع

النفيس العصري ولائع



يطلب من
مكتبة وهبة
١٤ شارع الجمهورية - عابدين
تليفون ٩٣٧٤٧٠



الدكتور محمد البهي

الفتنة العنصرية والاستلاب

يطلب من
مكتبة وهبة
١٤ شارع الجمهورية - عابدين
تليفون ٩٣٧٤٧٠

الطبعة الأولى

ذو القعدة سنة ١٣٩٩ هـ — أكتوبر سنة ١٩٧٩ م

جميع الحقوق محفوظة

مقدمة

التفرقة العنصرية تقوم على ادعاء : أن شعبا من الشعوب ، أو قوما من الأقوام ، أو جنسا من الأجناس البشرية ، أو قبيلة من القبائل ، أو عشيرة من العشائر ، أو مجموعة من الناس خاصة .. تتميز في صفاتها الجسمية والعقلية عن ما عداها . وانها لذلك صاحبة الفضل في بناء الحضارة الانسانية والمدنية ومؤهلة من أجل هذا السبب للقيادة والامارة على الآخرين .

هل الاسلام بدعوته ومبادئه يقوم على التمييز العنصرى ؟ انه يفرق حتما بين الأفراد والمجموعات ، بينما يسوى بين الناس جميعا . فعلى أى أساس يفرق ؟ وعلى أى أساس آخر يسوى ؟ وبعض المسلمين في مراحل ايمانهم بالاسلام على عهد الرسول عليه السلام وبعده ، كان لا يخفى النزعة الى « القبيلة » أو « العشيرة » .. هل عدم اخفاء هذه النزعة يعد مساوقا للايمان ، أو يعتبر تغاضيا عن دعوته ؟

ان الاسلام كما سنرى في هذا البحث يدعو الى : « الانسانية » وقيمها العليا . وهو من أجل ذلك يعادى « العنصرية » كما يعادى الشر والجاهلية .

وظهور النزعة « العنصرية » في وقت ما ، أو في مرحلة ما ، عند بعض المسلمين ، لا يدل على أن الاسلام يهادن العنصرية للسبب من الأسباب وانما يدل على ضعف هذا البعض من المسلمين ، أو على أن المجتمع يأخذ طريقه شيئا فشيئا بعيدا عن الاسلام ومبادئه .

دكتور محمد البهى

والله الموفق .

٢٤ من شعبان ١٣٩٩ هـ

مصر الجديدة ١٩ من يولية ١٩٧٩ م

* في النصوص الاسلامية :

رسالة الرسول عليه السلام - وهي ما أوحى بها الله في القرآن - جاءت لتعيد الى القيم الانسانية اعتبارها - جاءت لترفع من شأن هذه القيم في العلاقات بين الناس والأفراد ، ويكون لها وزنها ، بحيث تحل محل الروابط المادية ، وهي روابط المنفعة والمبادلات المصلحية ، التي تكون نفاق الانسان في التفكير والسلوك ، والمواقف بالنسبة للآخرين .

ولكى يفسح الاسلام المجال للقيم الانسانية في ترابط الناس بعضهم ببعض : نحى عن هذا الترابط اختلاف نظرة الناس بعضهم الى بعض ، واختلاف تقديرهم وتقييمهم على أساس من « العنصرية » .. أى على أساس من « الشعوبية » .. و « القبلية » .. و « الذكورة والأنوثة » .. على أساس من « الأصل » و « الجنس » .. يقول الله تعالى : **« واعتصموا بحبل الله جميعا ، ولا تفرقوا »** .. فيأمر المؤمنين بأن ينتقلوا بالترابط فيما بينهم ويرتفعوا به الى دائرة الهداية بكتاب الله . وهي دائرة أسمى من دوائر الترابط التي كانت سائدة قبل رسالة الاسلام ، ودائرة أعم في الشمول من أية دائرة أخرى كان لها اعتبارها بين الجاهليين أو الماديين أو غير الاسلاميين .

وبالانتقال الى هذه الدائرة الأسمى والأعم في الترابط يجنب القرآن المؤمنين : الفرقة على أساس الاختلاف في القبيلة ، أو الشعب ، أو اللون ، أو الجنس من الذكورة والأنوثة . ولكي يقنعهم بأن يكون الترابط في العلاقات على صلة بهداية الله وحدها ، يذكرهم بأحداث الماضي في العلاقات البشرية التي كانت تنشأ على أساس مادي ضيق ، كما يذكرهم بآثارها السلبية فتقول الآية مستمرة في الحديث : **« واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم أعداء ، فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته اخوانا ، وكنتم على شفا حفرة »**

من النار فأنقذكم منها» (١) . . والعداوة التي كانت قائمة ليست هي فقط العداوة التي كانت بين قبيلتي الأوس والخزرج ، كما يذكر كثير من المفسرين . وإنما هي كل عداوة عنصرية قبلية ، أو شعوبية ، تنشأ على أساس الدم والقرباة فيه ، وليس على أساس التوجيه الانساني والهداية الالهية وهي عداوة تتكرر كلما تكررت الروابط واشتدت على أساس العنصرية .

وتعتبر الآية الكريمة أن الدعوة الى الانتقال بالترابط بين الناس الى دائرة الهداية الالهية ، هي دعوة لانقاذ البشرية من الهلاك المحقق ، وتمتن بها على المؤمنين ، مؤملة أن يأخذوا بها في حياتهم ، كي يكونوا على طريق السلام والأمان دائما .

* * *

واذ ينحى الاسلام عن ترابط الناس بعضهم ببعض قيام هذا الترابط على أساس « العنصرية » فإنه يوصل المبدأ الذي يؤكد مساواة الناس جميعا في الاعتبار البشري ، ويرد كل سبب آخر للتفرقة العنصرية . فيقول :

« يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى ،

« وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا » (٢) . فالناس جميعا خلقوا من أزواج الذكورة والأنوثة . ولا يتخلف فرد واحد منهم في نشأته عن هذا الأصل . فالناس اذن متساوون في الاعتبار البشري ، كما هم متساوون في النشأة والأصل هنا . ويوضح ذلك قوله تعالى في سورة الانسان :

« هل أتى على الانسان حين من الدهر لم يكن شيئا مذكورا .
(أى أنه جاء وقت لم يكن الانسان مخلوقا) .

« انا خلقنا الانسان من نطفة أمشاج نبتليه فجعلناه سميعا بصيرا » (١) . وعندما خلقه الله سبحانه وتعالى خلقه من نطفة مشتركة من الذكورة والأنوثة . وخلقه على هذا النحو : لا يتبدل بسبب اختلاف المكان ، والزمان ، واللغة ، والعرق ، والذكورة والأنوثة ، واللون .

وتأتى سورة النساء فى أول آية منها فتذكر أن الطبيعة الانسانية التى خلق منها الناس جميعا ، وخلق منها الذكر والأنثى ، هى طبيعة واحدة ، يقول الله تعالى :

« يا أيها الناس اتقوا ربكم (فتجنبوا ما تابشرونه ضد الضعفاء فيكم أو ضد المستضعفين لديكم ، وهم النساء ، واليتامى) .

« الذى خلقكم من نفس واحدة (وهى الطبيعة البشرية . وما يقوله بعض المفسرين هنا فى النفس الواحدة : أنها نفس آدم ، فذلك قصة التوراة) ،

« وخلق منها زوجها (أى خلق من الطبيعة البشرية الذكورة والأنوثة) ،

« وبث منهما رجالا كثيرا ونساء » (٢) (ثم انتشر خلق الرجال والنساء فى تعمير الكون من نطفة أمشاج ، اختلط فيها ما للذكر وما للأنثى) .

ومن هذه الآيات يتضح أن المساواة فى الاعتبار البشرى بين الذكر والأنثى قائمة بالفعل ، وأن مصدرها : وحدة « الأصل » والنشأة بين النوعين .

فاذا جاءت آية الحجرات السابقة وأضافت الى شقها الأول قول الله تعالى : « وجعلناكم شعوبا ، وقبائل لتعارفوا » . فانها

تضم الى المساواة في الاعتبار البشرى بين الأفراد بين الذكر والأنثى ، المساواة في الاعتبار البشرى بين الشعوب ، والقبائل ، وكل المجموعات الأخرى التى تقوم على عصبية الدم أو وحدة اللغة ، أو تجانس اللون فهذا التناقض الثانى من الآية يريد أن ينفى : أن اختلاف الشعوب يوصل الى اختلاف اعتبارهم البشرى . بل هو مصدر للتقارب والتعارف فيما بينهم . أى هو مصدر لجذب بعضهم الى بعض لحاجة كل منهم للآخر . فالاختلاف بين الذكور والأنوثة عامل جذب ، وليس عامل تضاد . والاختلاف بين الغنى والفقر عامل مشاركة وحاجة متبادلة ، وليس عامل خصومة ومطاردة . . . وهكذا . . . فالأفراد البشرية ، والجماعات البشرية لا فرق بين بعضها بعضا في الاعتبار البشرى ، في نظر الاسلام . ومن هنا يمكن أن يقال : ان الاسلام ضد « التفرقة العنصرية » وانه ينظر الى الناس جميعا نظرة المساواة في الاعتبار البشرى . فلا يفضل انسانا على آخر ، ولا شعبا على شعب ، ولا قبيلة على قبيلة ، ولا جماعة من الناس ترابطت على أساس غير انساني ، على جماعة أخرى ترابطت أيضا على أساس آخر ، هو غير انساني كذلك .

ولكن الاسلام في الوقت نفسه يميز بين الأفراد ، والجماعات - بعد اقراره بالمساواة في الاعتبار البشرى - بما تنتهى به آية الحجرات السابقة ، وهو قوله تعالى :

« ان أكرمكم عند الله أتقاكم ،

« ان الله عليم خبير » (١) . فتذكر الآية أن مقياس التفضيل للأفراد والجماعات عند الله لا يرجع الى « العنصر » « والعرق » بل هو التقوى . . . هو تجنب المعاصي والآثام . . . هو تجنب المنكر والفواحش . . . هو أداء الواجبات المختلفة . . . هو أداء العبادات . . .

هو الوفاء بالعهود .. هو الصبر في البأساء والضراء ، وفي تحديد المتقين يقول الله تعالى :

« ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ،

« ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر ، والملائكة ، والكتاب ، والأنبياء ،

« وآتى المال على حبه : ذوى القربى ، واليتامى ، والمساكين ، وابن السبيل والسائلين ، وفى الرقاب ،

« وأقام الصلاة وآتى الزكاة ،

« والموفون بعهدهم إذا عاهدوا ، والصابرين فى البأساء والضراء ، وحين البأس ،

« أولئك الذين صدقوا ، وأولئك هم المتقون » (١) . فالمتقى هو صاحب الايمان بما طلبت الآية هنا الايمان به ، وهو المؤدى للواجبات والتكاليف حسنما يدعو القرآن فيها كذلك ، وهو صاحب الصفات النفسية القائمة على القيم الانسانية العليا والثبات عليها : من الوفاء بالعهد ، والصبر والتحمل فى الشدة اذا استمرت ، ووقت مفاجأتها « وحين البأس » .

والتقوى التى يتميز بها فرد عن فرد أو مجموعة من الناس على مجموعة أخرى هى جماع هذه الأنواع من الصفات التى ذكرت فى آية البر هنا .

والاسلام بذلك يفرق بين شيئين لا يستلزم أحدهما الآخر .. يفرق :

(أ) بين المساواة فى الاعتبار البشرى ، على أساس الوحدة فى أصل النشأة البشرية .

(ب) وبين التميز في السلوك الانساني ، والارتباط بالقيم الانسانية العليا في الحياة على أساس من الايمان وتأثيره على الفكر ، والوجدان ، والعمل الارادى .

* * *

وعندما تبدر بادرة اختلاف بين المؤمنين في جماعتهم تنسبر الى الرجوع الى الاعتزاز أو التفاخر « بالأصل » فيهم ينتجه الاسلام فورا الى النهى عن طريق ذلك ويذكر بالرباط القائم بينهم الآن بديلا عما كان فيقول : « انما المؤمنون اخوة فاصالحوا بين اخويكم واتقوا الله لعلكم ترحمون » (١) . . . فيطالب بالصلح على أساس الاخوة في الايمان بالله وليس على أساس عنصري . ثم ينهى عن مباصرة الآثار التي تترتب على اعتبار « العنصرية » باقية كما كانت فيقول :

« يا ايها الذين آمنوا :

« لا يسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيرا منهم) في العمل والسلوك (،

« ولا نساء من نساء عسى أن يكن خيرا منهن ،

« ولا تلهزوا أنفسكم (ولا تذكروا عيوب بعضكم بعضا في غيببتكم) ،

« ولا تنابزوا بالألقاب (أى لا يلقب بعضكم بعضا بما يكره أن يسمعه) ،

« بثئس الاسم الفسوق بعد الايمان » (٢) (أى بثئس الخروج عن الايمان بعد الدخول فيه) . . .

فينهى القرآن هنا عن أن يسخر أحد من آخر ، ذكر أو أنثى بسبب وضاعة النسب ، أو بآى سبب من الأسباب التي كانت

فى الماضى يستندون اليها عند التنقيص ، أو السخرية من أحد •
لأن ذلك لا يتفق اطلاقا مع قيام المساواة فى الاعتبار البشرى بين
الناس جميعا ، التى يطلبها الاسلام ويصر على طلبها •

كما ينهى عن انتهاك الحرمات فى غيبة أصحابها بما يسىء
اليهم ، وعن مواجهتهم بما يكرهون من الأسماء والألقاب • ويجعل
أى سبيل من سبل الانتقاص المذكورة فسوقا وخروجاً من الايمان ،
أو هو بمثابة الارتداد عن الايمان • فالسخرية ، والاساءة الى
الانسان بالتنقيص من خلقه ، ودعوته بما يكره من الألقاب : أمور
لا تجرح الاحساس الانسانى فقط بمن يسخر منه ، أو يساء
اليه من خلفه ، أو فى مواجهته • وانما قد يصل جرح الاحساس
الى ما يعوقه عن التفكير السليم ، ومباشرة العمل ، ويحول بينه
وبين النظرة المتفائلة فى الحياة • • هى أمور قد تؤدى الى أن يكره
الانسان نفسه ويتهرب بوسيلة ، أو بأخرى من لقاء الناس ،
فضلا عن أن يستمتع بهم عند اللقاء •

ولكى يبعد الاسلام سوء الظن بالآخرين ، اعتمادا على تقليد
كان قائما على تفرقة قبلية يطلب الابتعاد عنه من قريب أو بعيد
فيقول :

« يا أيها الذين آمنوا ،

« اجتنبوا كثيرا من الظن ، ان بعض الظن اثم ،

« ولا تجسسوا ، ولا يغتب بعضكم بعضا » (١) •

والواقع أن القرآن الكريم يطلب فى هذه الآيات الثلاث فى
سورة الحجرات : أن يتجنب المؤمن كل أسباب الايذاء النفسى لمؤمن
آخر • وهى أسباب كانت سائدة فى الجاهلية ، وتسود فى كل
عهد ماضى • والقرآن اذ يطلب أن يتجنبها المؤمن يطلبها لى
يفسح مجال العلاقات بين المؤمنين الى الايمان بالله • والأخوة
على أساس منه :

فسخرية انسان من انسان .
 وتنقيص انسان من انسان آخر وراء ظهره ،
 ودعوة انسان انسانا آخر بما يكره من القاب أمام آخرين ،
 وتجسس انسان على أسرار انسان آخر ،
 وغيبة انسان لانسان . .
 كلها عوامل تحول قطعا دون صفاء النفوس ، وتماسك بنيان
 المجتمع . وهى لا تشيع الا اذا كانت « التفرقة العنصرية قائمة »
 بوجه من الوجوه .

✽ الاسترقاق ليس تفرقة عنصرية :

واسترقاق الأسرى فى الحروب بين المسلمين وأعدائهم اذا باشره
 الامام ، وأصبح هناك بين المؤمنين أرقاء من غيرهم ، يجوز بيعهم
 وشراؤهم : لا يعد « تفرقة عنصرية » فعدم مساواة الأرقاء بالأحرار
 فى المجتمع الاسلامى فى الاعتبار الانسانى ، وجعلهم على النصف
 فى أهور عديدة ، مما يجب على الحر ، أو مما يجوز له ،
 هو اجراء ضرورى لابعاد خطر الاعتداء والحروب عن المؤمنين من
 أعدائهم . . هو « سياسة » يجب أن تستخدم لتحذير الأعداء
 والمغامرين بالحروب .

ثم الاسترقاق هو بديل عن قتل الأسير فى ميدان القتال ،
 أو بعد أسره ، فقد يجوز أن يقتل فى الميدان ، كما يجوز للامام
 أن يقتله بعد أن يؤسر . وقد كان عمر رضى الله عنه ، يرى
 — والمسلمون ضعفاء — أن الأسير ينبغى قتله ، ولا يجوز أن
 تقبل منه فدية ، فضلا عن أن يمن عليه الامام باطلاق سراحه .
 وفى رأيه جاء قوله تعالى :

« ما كان لنبي أن يكون له أسرى حتى يثخن فى الأرض
 (حتى يتمكن ويكون قويا) .

« تريدون (أى بالفدية • وقد كانت الفدية رأى أبى بكر
 لحاجة المؤمنين الى المال) عرض الدنيا ،
 » والله يريد الآخرة ، والله عزيز حكيم ،

« لولا كتاب من الله سبق (أى لولا قضاء من الله سبق فى
 علمه : بالعفو عن الرسول عليه السلام والمؤمنين معه من
 أجل قبول الفدية بادية ذى بدء) لمسكم فيها أخذتم عذاب
 عظيم » (١) •

ومع أن الرقيق يفرق بينه وبين الحر فى مجالات عديدة فى
 الحياة ، وبالأخص فيما تعلق بالقيمة الانسانية ، ومع أن الاسلام
 يرى فى التفريق بينهما ضربا من ضروب التأديب للاسير الذى أصبح
 رقيقا ، لكنه لا يرى فى هذا التفريق أية صلة تعود بها الى ما يسمى
 « بالتفرقة العنصرية » • لأن الاسلام لا ينتقصه « لأصله » •
 أو « عرقه » أو « جنسه » أو « شعبه » أو « قبيلته » •
 أو غير ذلك مما يعده الماديون • أو الجاهليون - سببا فى
 « التمييز » و « التفرقة » • أو سببا فى التنقيص والخسة
 كما واجه قوم نوح رسولهم بأن سبب كفرهم برسالته : أنهم
 من « الأشراف » وأن من عداهم من الذين آمنوا به من « الوضعاء » •
 « قالوا : أنؤمن لك ، واتبعك الأراذلون » (٢) • فهم يأنفون
 أن يكونوا فى مستوى واحد مع الأراذل أو الوضعاء ، فى الايمان
 برسالة نوح •

والتفرقة العنصرية دائما ظاهرة من ظواهر المادية ، مهما قيل
 فى شأن « المساواة » أو ادعائها فى ظل طغيان المادية • أما
 « التجريد » من الاعتبار الانسانى الذى يسلكه الاسلام مع الرقيق ،
 فلا يقدم على شئ سوى استنكار العدوان والاعتداء ، وحمل المعتدى
 على التفكير طويلا قبل اعتدائه على المؤمنين •

والآن تمر بنا في الاسلام أربعة أمور :

الأمر الأول : أن الاسلام يرى المساواة في الاعتبار البشري أساساً جوهرياً في النظرة الى الناس جميعاً .

الأمر الثاني : أن هناك في الاسلام - بعد ذلك - فروقا فردية تنشأ عن قوة الايمان وضعفه ، وحسن السلوك ، ومدى مطابقته لما يأمر أو ينهى عنه الاسلام ، وهي فروق يتميز بها فرد عن آخر أو مجموعة عن أخرى .

الأمر الثالث : أن الاسترقاق ومعاملة الأرقاء ، والنظرة اليهم لا تتصل بمعنى « التفرقة العنصرية » .

الأمر الرابع : أن المسئولية الفردية هي مسئولية للناس عامة . والناس جميعاً يتساوون في حمل هذه المسئولية ، كما يتساوون في الاعتبار البشري .

والحديث الشريف يذكر المسئولية الفردية فيما يروى عن الرسول عليه السلام في قوله :

« كلكم راع ، وكلكم مسئول عن رعيته ،

« والرجل راع على أهل بيته ، وهو مسئول عن رعيته ،

« والمرأة راعية على أهل بيت زوجها وولده ، وهي مسئولة عنهم ،

« وعبد الرجل راع على مال سيده ، وهو مسئول عنه .

« ألا : كلكم راع ، وكلكم مسئول عن رعيته » . . فالسيد

والرقيق . . والذكر والأنثى كل في دائرة مسئوليته مطالب بأداء المسئولية ورعايتها .

والروح الاسلامية هي روح انسانية عامة تتجاوز كل مظاهر « التفرقة العنصرية » وأسبابها كذلك . تستهدف السلوك الانساني الكريم وتحقيق مستواه الفاضل .

« واعلموا أن فيكم رسول الله أو يطيعكم في كثير من الأمر
لعنتم (مما يخص القبائل والعشائر) ،

« ولكن الله حبيب اليكم الايمان ، وزينه في قلوبكم (فارتفعت
به في السلوك والمعاملة عن كل أسباب الخصومة • وهي
أسباب تعود غالبا الى « العنصرية ») ،

« وكره اليكم الكفر ، والفسوق ، والعصيان ، أولئك هم
الراشدون » (١) (وطالما تبعد الانسان عن الكفر ، والفسوق ،
والعصيان ، فهو بعيد كذلك عن كل ما يؤذى في العلاقات
بين الأفراد بعضهم ببعض • وهو رشيد كذلك في مسلكه
وتصرفه) •



* في توجيه الرسول عليه السلام :

والرسول عليه السلام يبغض في العصبية الجاهلية • وهي
التي تقوم على أساس قبلي (أو عنصري) لنصرة عضو في القبيلة ،
ولو كان ظالما ، ضد مظلوم آخر في قبيلة أخرى • • ويروى عنه
عليه الصلاة والسلام في هذا الشأن قوله :

« ليس منا من دعا الى « عصبية » • • (أى ليس من المؤمنين
من جعل العصبية سبيلا الى نصرة الظالم) • • وليس منا من
قاتل على عصبية (أى اشتبك في القتال على أساس العصبية ،
وليس على أساس نصرة الله) • »

وفي رواية جبير بن مطعم :

« خيركم : المدافع عن عشيرته ، مالم يأتهم (أى مالم يتجاوز
الحد في الدفاع فينصر الظالم لأنه فقط من عشيرته) • • فالرسول

عليه السلام لا ينكر الترابط على أساس العصبية . لأن ذلك شأن طبيعي في الانسان . ولكن ينكر فقط أن يوجه هذا الترابط لارتكاب الآثام والمظالم ، بسبب العشيرة والانتساب اليها . ولذا يروى في هذا الشأن عن عبد الله رضى الله عنه قول الرسول عليه الصلاة والسلام :

« قال : من نصر قومه على غير الحق فهو كالبعير الذى ردى ، فهو ينزع بذنبه » (١) . ووجه الشبه هنا أن انقاذه صعب مما وقع وتردى فيه ، ويندر أن ينقذ حيا فالذى ينصر قومه على غير الحق يخطئ خطأ جسيما فى حق نفسه ويؤدى بها الى الهلاك . فالعصبية ذاتها أمر طبيعي . ولكن يجب أن تسير فى ظل الايمان بالله ، ودين الله . أى يجب أن تكون تعاليم الرسالة الالهية هى صاحبة التوجيه لطاقت الانسان وترابطه .

بينما « العنصرية » القائمة الآن لا تفترق اطلاقا عن العصبية الجاهلية التى يُمقتها الاسلام . فهى نصرة للشريك فى الجنس والعنصر فى ظلمه وباطله قبل حقه وعدله .

واذا كان يروى عن الرسول عليه السلام قوله فى تمجيد بنى هاشم :

« ان الله اختار العرب من بين سائر الناس ،

« واختار قريشا من العرب ،

« واختار بنى هاشم من قريش ،

« واختارنى من بنى هاشم . . فأننا أفضل الناس » (٢) . .

فليس يعنى عليه السلام التمييز العنصرى . والا لما كانت

(١) التاج ج ٥ ص ٤٧

(٢) البزدوى - مسألة ٦٨ ص ١٩٣

رسالته رسالة عالمية ، ولما كانت دعوته الى تحقيق القيم الانسانية العليا فى حياة المؤمن • وانما يعنى فقط التنبيه الى « صفاء » نفسه وشرف منبته ، وهذا أمر يتصل « بالوراثة » وما لها من أثر على السلوك والتوجيه واذا كان الرسول يصطفى من البشر فان اختيار الله جل شأنه لرسول ما يدخل فيه ماضيه وما ينطوى عليه من عناصر طيبة وخيرية • وسلسلة النسب التى يشير الحديث هنا اليها تعطى لى كاتب فى سيرته عليه السلام : أنه عليه السلام : حتما كان يتحلى بصفة الأمانة ، تلك الصفة التى لها صلة وثيقة بالعصمة فى تبليغ الوحي ورسالة الله الى الناس جميعا •

وفى ما يروى عن أبى هريرة رضى الله عنه ، عن النبى صلى الله عليه وسلم قوله : « تجدون الناس معادن : خيارهم فى الجاهلية خيارهم فى الاسلام •• اذا فقهوا •• وتجدون خير الناس فى هذا الشأن : أشدهم له كراهية قبل أن يقع فيه ، وتجدون شر الناس ذا الوجهين الذى يأتى هؤلاء بوجه ، ويأتى هؤلاء بوجه » (١) •• يشير كذلك الى « الوراثة » وأثرها فى توجيه الأفراد ، دون أن يقصد الى معنى التفرقة العنصرية • فالوراثة أمر جوهري فى الفروق الفردية ، بينما « اللون » مثلا - وهو أساس من أسس « التفرقة العنصرية » - القائمة اليوم لا يفرق بين فرد وفرد أو مجموعة ومجموعة أخرى على نحو ما يدعيه أصحاب هذه التفرقة • فاللون الأسود لا يرتبط بضعف مستوى الذكاء فى صاحبه ، كما أن اللون الأبيض لا يدل دلالة لازمة على رفع مستوى الذكاء فيمن هو أبيض اللون • قد يكون للجو والطبيعة فى برودتها وحرارتها أثر على نشاط الانسان • وبذلك يختلف نشاط من يسكن المنطقة الباردة فى مستواه وفى طول أمدته عن ذلك الذى يسكن المنطقة الحارة أو الرطبة • ولكن لا ينبغى أن يرتبط اختلاف النشاطين فى المستوى وفى المدى ، باللون الأسود والأبيض ، اذا

كان الأسود هو الذى يسكن المنطقة الحارة أو الرطبة ، بينما الأبيض يسكن المنطقة الباردة .

* فى موقف عمر رضى الله عنه :

ان عمر رضى الله عنه ، وهو من هو ، فى الجاهلية والاسلام ، كان يقول عن بلال بن رباح الحبشى ، مؤذن الرسول صلى الله عليه وسلم ، كما يروى عن جابر رضى الله عنه : « أبو بكر سيدنا ، وأعتق سيدنا » ويعنى بلالا » . وبلال حبشى الأصل ، أسود اللون . وكان مملوكا لبنى جمح ، فلما سمع بالاسلام بادر اليه فصار أسياده يعذبونه عذابا شديدا على الاسلام فلا يرجع . وكان أمية بن خلف يوالى تعذيبه ويغرى به الولدان يطوفون به فى شعاب مكة يعذبونه ويشهرون به ، فلا يفتتر لسانه عن قول : أحد . أحد . وكان هلاك أمية هذا على يديه . فلما اشتد تعذيبه ودفنوه فى الحجارة حيا اشتراه أبو بكر بخمس أواق ، وأعتقه لله تعالى .

فتكريم عمر بن الخطاب رضى الله عنه لبلال الأسود الحبشى ، بالتعبير عنه بأنه « سيده » . يدل دلالة واضحة على أن روح « التفرقة العنصرية » لم تكن قائمة فى التطبيق العملى للمبادئ الاسلامية ، على الأقل حتى عهد عمر . قد تكون مترسبة فى أعماق بعض النفوس . ولكن ليس بترسبها هذا مع ذلك تغيير فى مجريات الأمور حسبما يرشد الاسلام بروحه الانسانية العامة :

يروى عن عائذ بن عمر رضى الله عنهما :

« أن أبا سفيان (قبل اسلامه) مر على سلمان الفارسى ، وصهيب الرومى ، وبلال الحبشى ، فى نفر فقالوا : والله ما أخذت سيوف الله من عنق عدو الله مأخذها (ويقصدون أنه كان يجب أن يزول أبو سفيان عدو الله من هذا الوجود ، وقاية للاسلام من شره وعداوته) . فقال أبو بكر : أتقولون هذا لشيوخ قريش (٢ - التفرقة العنصرية)

وسيدهم : (يعنى أبا سفيان) • وأتى النبى عليه السلام فأخبره •
فقال : يا أبا بكر لعلك أغضببتهم ؟ ان كنت أغضببتهم فقد أغضبت
ربك • فأتاهم أبو بكر فقال : يا أخوتاه أغضببتكم ؟ فقالوا :
ما غضبنا • يغفر الله لك •

فالثلاثة : سلمان الفارسى ، وصهيب الرومى ، وبلال الحبشى ،
من « عروق » و « أجناس » ثلاثة • وأبو سفيان قرشى • فرد
أبى بكر وهو قرشى أيضا ، على الثلاثة ربما يوقظ فى نفوسهم معنى
« العنصرية » • • يوقظ أن قريشا تميز على غيرها من قبائل
العرب ، والأجناس الأخرى عداها • وهذا مما يثير الفتنة أو روح
الفرقة من جديد أو على الأقل بما يضعف روح الأخوة الإسلامية
القائمة على الروح الانسانية العامة والتي هى فوق الجنسيات
والعنصريات •

ولذا كان رد الرسول عليه السلام على أبى بكر : أنه ربما
أغضبهم بما قال • وطلب اليه أن يرضيهم ويطمئنهم على أن الروح
الانسانية العامة – وليست روح العنصرية – هى السائدة فى المجتمع
الإسلامى ، وأن المسلم أخ المسلم فى الايمان والاعتبار وامام
المسئولية •

ووصية عمر رضى الله عنه بمن يخلفه – وهو مصاب باصابته –
تدل أيضا على عدم وجود نزعة نحو « التفرقة العنصرية » يستلهم
منها المسلمون اتجاهاتهم فى الحياة تدل على أن الإسلام بمبادئه
الانسانية لم يزل صاحب السيادة •

فيروى : أن بعض الرجال استأذنوا فى الدخول عليه رضى الله
عنه فقالوا : أوصى يا أمير المؤمنين • • استخلف • • قال :

« ما أجد أحق بهذا الأمر من هؤلاء النفر أو الرهط الذى توفى
رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو راض عنهم •

فسمى « عليا » و « عثمان » و « الزبير » و « طلحة »

«و «سعدا» و «عبد الرحمن» وقال : : «يشهدكم عبد الله بن عمر ،
وليس له من الأمر شيئا» .

«فان أصابت الامرة سعدا فهو ذاك» . والا فليستعن به
أيكم ما أمر ، فانى لم أعزله عن عجز ، ولا خيانة» .

ثم قال : أوصى الخليفة من بعدى بالمهاجرين الاولين : أن يعرف
لهم حقهم ، ويحفظ لهم حرمتهم» .

وأوصيه بالانصار خيرا ، الذين تبوأوا الدار والايمان من
قبلهم ، أن يقبل من محسنهم وأن يعفى عن مسيئتهم» .

وأوصيه بأهل الأمصار خيرا ، فانهم رءء الاسلام ، وجباة
المال ، وغيظ العدو ، وأن لا يأخذ منهم الا فضلهم ، عن رضاهم» .

وأوصيه بالأعراب خيرا ، فانهم أصل العرب ، ومادة الاسلام :
أن يأخذ من حواشى أموالهم ، ويرد على فقرائهم» .

وأوصيه بذمة الله ، وذمة رسوله : أن يوفى لهم بعهدهم ،
وأن يقاتل من ورائهم ولا يكلفوا الا طاقتهم» .

فان وصيته رضى الله عنه هنا بجميع طوائف المؤمنين وأهل
الذمة فى الأمة . . لا تدل فقط على حنكة فى التجربة السياسية ،
وانما أيضا تدل على السمو فوق القبلية والعنصرية لأنه رضى
الله عنه فيما يعلل به وصيته لكل طائفة يذكرها بفضلها فى الاسلام ،
وبفضل اسهامها فى قوة الأمة وخيرها» .

* بعد وفاة الرسول عليه السلام :

والرسول عليه السلام صاحب التبليغ بالوحي الالهى ، وصاحب
الرسالة ، والدعوة اليها ، وصاحب التطبيق الجاد والصادق لمبادئها
فى حياته . ولذا كان قوله حجة وتطبيقه حجة كذلك . ومن ثم
كانت قدوته قدوة حسنة ، يجب على المؤمنين برسالته أن يتبعوها ؛

وكما رأينا في القرآن الكريم : أن روح الاسلام روح انسانية عامة ، فوق العنصرية والشعوبية .. وأن : « لا اله الا الله » .. هو شعارها والله وحده معبود الخلق أجمعين .

ولكن الى متى تظل « العنصرية » بعيدة عن مجال الحياة الاسلامية التي سادت فيها القيم الانسانية ؟

هل انتهت الروح « العنصرية » من نفوس المؤمنين وقلوبهم ، وهم عرب لهم قبائلهم أو عجم لهم تاريخهم وحضارتهم ؟ أم كبنت هذا الروح وترسبت في العمق وتظل مترسبة الى حين ؟ حتى اذا ضعف غطاء الايمان بالله ابتدأت تعلو على السطح الى أن يبدو أثرها في السلوك والمواقف ، ثم في الفرقة والاختلاف بين الطوائف والجماعات في الأمة ؟

بعد وفاة النبي عليه السلام أراد الأنصار أن يؤمروا « سعد ابن عبادة » وقال للمهاجرين : منكم أمير - أي من الأوس : أمير - وهذا رجوع بالروح الاسلامية العامة الى الروح القبلية .
ومنا أمير .. ومن الخزرج أمير .

فقال لهم أبو بكر رضى الله عنه : سمعت رسول الله عليه السلام يقول :

« الأئمة من قريش » فيبقى على الاعتزاز بقريش . فكان القرشيون أهل زعامة وثنية على عهد الكهان ، وليبقوا كذلك أهل الامامة في الاسلام .

ويروى ابن عمر رضى الله عنهما ، عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « لا يزال هذا الأمر (وهو الامارة) في قريش ، ما بقى منهم اثنان » .. وهذا وذاك من الأحاديث التي يجب أن تكون موضع نظر للمؤمنين .

فأبو بكر وابن عمر - وهما من أجلاء الصحابة - يحدثان المؤمنين بما ينسب للرسول عليه السلام من وقوفه بالامامة

أو الخلافة في قريش وحدها • هل معنى ذلك أنه عليه السلام كان يميز قريشا على ما عداها من القبائل العربية الأخرى فضلا عن الأعاجم الذين دخلوا الايمان بالله وشاركوا في مسئولية بقاء الأمة الإسلامية ؟ هل هذا التمييز ينتهي الى أن تكون الامامة أو الخلافة عربية دائما ، دون أن تكون اسلامية يوما ما ؟

ويستمر الرأي بوجوب كون الامام من قريش وحدها فترة أخرى من الزمن بين المسلمين ، كما يذكر البزدوى (١) فيقول : يجب أن يكون الامام أفضل علما وتقوى وشجاعة ، ونسبا ، ويجب أن يكون من قريش ، وهو قول أهل القبلة ، واستنادا الى حديث أبي بكر السابق : « الأئمة من قريش » • • والى أن الصحابة أجمعوا على خلافة أبي بكر ، وعمر ، وعثمان ، ولم يكونوا من بنى هاشم •

ثم تقوم آراء أخرى معارضة لهذا الرأي :

فالروافض يقولون : يجب أن يكون من بنى هاشم ، ولا يجب أن يكون من قريش لأنهم أنصار لعلى رضى الله عنه • والمعتزلة عامة يرون : أنه يجب أن يكون تقيا عالما بكتاب الله ، ولا يجب أن يكون من قريش •

والخوارج يرون أنه يجب أن يكون من غير قريش ، ويوجهون إليهم بأن الامام قد يظلم ، وقد لا يمتنع عن المعاصي فتقع الحاجة الى عزله • فان كان قرشيا يكون ذا تبع كثير فلا يمكن عزله ، يؤدي الى فساد العالم • فيجب أن يكون من غير قريش حتى يمكن عزله •

وبعد الخلفاء الأربعة قال : « أبو بكر الأصم » من المعتزلة ، بعض الخوارج : انه لا يجب أن يكون هناك امام • بل يجب الى الناس أن يبعثوا بكتاب الله تعالى فقيه الكفاية عن الامام •

والرأى الآن فى ذلك الوقت بين المسلمين فى شأن الامامة :

يجب أن يكون هناك امام • ولكن هل يجب أن يكون من قريش ؟ أو من بنى هاشم ؟

يجب أن لا يكون هناك امام ، اكتفاء بالعمل بكتاب الله •

ان اختيار قريش أو بنى هاشم مؤهلا للامامة الكبرى لا يخلو من نزعة قبلية • • وان القول بالغاء الامامة والاستعاضة عنها بكتاب الله يدل على كراهيته للانتماء الى أية قبيلة فى اختيار الامام • وكراهيته الانتماء الى القبيلة عند اختيار الامام تدل على البغض الأعمى للعرب ، وللمسلمين جميعا • فرأيهم تصاحبه الفوضى فى التطبيق وتفكك المسلمين فى الاتجاه والتوجيه معا •

وهذه النزعة القبلية التى ظهرت بعد وفاة الرسول عليه السلام وأُسند أمرها فى بعض الأحاديث اليه فى آخر حياته : من غير شك . بداية لضعف المجتمع الاسلامى فى غده ، وسيره فى مراحل التفرق ، والاختلاف ، بعد أن اكتمل فى القوة والتماسك عند فتح مكة • اذ قد مضى عليه منذ نشأته المدة التى يبلغ فيها نهاية تطوره كمجتمع انسانى ، فالمجتمعات الانسانية تمر بمراحل التطور التى يمر بها الفرد من الانسان • فاذا بلغت نهاية المرحلة الأخيرة تبتدىء من جديد فى النزول • ثم تصعد مرة أخرى لتصل الى قمة التطور • • وهكذا •

والمجتمع الاسلامى هو مجتمع انسانى • على معنى أنه يأخذ بالقيم الانسانية العليا فى السلوك ، والمعاملات والمواقف • وقمة تطوره هو بلوغه فى الأخذ بهذه القيم بلوغا يوصله الى المستوى الرفيع فى الانسانية • فاذا ابتداء يضعف أخذ فى التنازل عن بعض هذه القيم الانسانية العليا شيئاً فشيئاً • • حتى يصل الى صفة المجتمع المادى وهى صفات الجاهلية • وكلها تدور فى فلك الاقتصاد وتمجيده •

وبعض « الأنصار » كان يرى في قول الرسول عليه الصلاة والسلام لأبي سفيان عندما اشتكى من هلاك قريش في فتح مكة :

« من دخل دار أبي سفيان فهو آمن ، ومن ألقى السلاح فهو آمن . ومن أغلق بابه فهو آمن » عاطفة خاصة وميلا خاصا من الرسول عليه السلام نحو عشيرته ورغبة في قريته وهي مكة .

وقد أجاب الرسول عليه السلام على هذا التصور عند الأنصار بقوله :

« هاجرت الى الله واليكم . فالمحيا محياكم . والممات مماتكم » . . . وبهذا الجواب ضعفت النزعة الى « العشيرة » وهي ولا تنك نزعة « عنصرية » . ومع ذلك فاللمحات القبلية أخذت تظهر في التوجيه ، كما تظهر في الحديث والمحاورة . وان كان شأنها لم يكن ذا خطر على الأمة اذ ذاك .

وحديث حذيفة رضى الله عنه :

« كان الناس يسألون رسول الله عن الخير ، وكنت أسأله عن الشر ، مخافة أن يدركنى فقلت يا رسول الله : « انا كنا في جاهلية وشر (أى كان مجتمعنا مجتمع عادات جاهلية وهي العادات التي يغلب عليها استضعاف الضعيف ، وحب المال حبا جما ، والاستغناء به والطغيان عن طريقه . . . وهو مجتمع شر . لأنه يقوم على الانانية وحب الذات وحدها) فجاءنا الله بهذا الخير (وهو الاسلام . والمجتمع الاسلامى مجتمع انسانى يؤثر الروابط الانسانية بين الأفراد على تلك التي تتصل بالمادة وحدها) .

« فهل بعد هذا الخير من شر ؟ (أى فهل يذهب هذا المجتمع الخير وهو المجتمع الاسلامى بعد فتح مكة ، ويضعف حتى لا ترى فيه الا العادات الجاهلية من جديد وهي التي تمثل الشر في الانسانية ؟)

« قال : نعم (وعلى هذا السؤال يجيب الرسول عليه السلام بأن المجتمع الاسلامى الذى قام منذ الدعوة بمكة ، وازدهر وقوى بالمدينة ، واشتد أزره وقوى ساعده عند فتح مكة ، سيضعف وسيزول خيره شيئا فشيئا ، ويحل بدل الخير فيه : شر هو الذى يصاحب ظواهر المجتمع المادى أو الجاهلى . فالمجتمع الاسلامى القائم عند فتح مكة سيتغير وسيتحول الى المجتمع المقابل له . وهو المجتمع المادى أو الجاهلى) »

« قلت وهل بعد ذلك الشر من خير ؟ قال نعم (ويعيد حذيفة نفس السؤال ويجيبه الرسول عليه بنفس الجواب ، مما يدل على أن المجتمع البشرى لا يبقى على وضع واحد . وانما هو يتقلب بين وضعين متقابلين . اما أن يكون مجتمعا انسانيا تسود فيه القيم الانسانية . وعندئذ يكون مجتمعا اسلاميا وخيرا على البشرية كلها . واما أن يكون مجتمعا جاهليا أو ماديا . وعندئذ يكون شرا على البشرية كلها) »

وتأسيسا على هذا التحول ، وعلى أنه مبدأ اجتماعى ، اذ اختفت ظاهرة « التفرقة العنصرية » فى المجتمع الاسلامى ، أى فى المجتمع الذى يسود فيه الاسلام والقيم الانسانية العليا ، فانها حتما ستظهر ، وربما ستكون فى ظهورها قوية ، فى المجتمع المادى أو الجاهلى ، اذا آل اليه المجتمع الاسلامى أو الانسانى يوما ما . . . و « التفرقة العنصرية » اذن ظاهرة اجتماعية تسود المجتمع المادى ، وتختفى أو تكبت فى المجتمع الانسانى أو الاسلامى . وهى من الظواهر الواضحة التى يعرف بها اتجاه المجتمع البشرى : ان كان نحو المادية . . أو نحو الانسانية .

واذا كان المجتمع الاسلامى على عهد الرسول محمد عليه السلام هو مرآة صدق لمبادئ الاسلام ، ولتطبيق هذه المبادئ، فانه يشك كثيرا فيما ينقله الرواة عن ملامح « القبلىة » أو « العشيرية » . . مما يتصل بالتفرقة العنصرية ، منسوبا الى الرسول ذاته أو الى بعض كبار الصحابة رضوان الله عليهم .

ولكن بعد وفاته عليه السلام لا يستعبد ظهور اشارات تشير الى ما كان عليه العصر الجاهلي من أمارات .. ومن أهم أماراته « التفرقة العنصرية » فالتفرقة العنصرية ظاهرة المجتمعات المادية أو الجاهلية دائما * والمجتمعات الأوروبية المعاصرة - مسيحية أو غير مسيحية - وهي مجتمعات « البيض » تحاول فقط أن تخفى « العنصرية » .. كأسلوب في الحياة العامة * ولكن أساس نظرة البيض أو التسعوب الأوروبية الى الملونين أو التسعوب الأفريقية والآسيوية ، هو نظرة عدم المساواة في الخصائص الانسانية وبالأخص العقلية منها * وربما كان استعمار « البيض » للملونين في افريقية وآسيا في القرن التاسع عشر فترات طويلة ، سببا في تقدير هؤلاء الملونين تقديرا لا يرقى الى مستواهم هم *

فالبيض يعتبرون « الملونين » متخلفين ، ليس في العلم ، ولا في الصناعة فقط وانما مع ذلك في الطاقات البشرية ، والقدرة على الانجاز ، وحل المشاكل والخبرة في شئون الحياة *

وكثير من الكتاب الأوروبيين ملأوا العالم بصيحاتهم في القرن التاسع عشر عن « ميزات العقل الآري » .. ويرونه أنه - دون غيره - صانع الحضارات البشرية والتاريخ الانساني *

فمن هؤلاء الكتاب : جوبينو Gobinan يؤكد في كتابه : « محاولة توضيح عدم المساواة بين الأجناس البشرية » في سنة ١٨٥٣ : أهمية العناصر العقلية في علم الأجناس ويشير الى استخدام التاريخ العالمي * ويذكر أن سقوط الشعوب الكبيرة كان بسبب الاختلاط بين الأجناس التي منها حملة المدنية كالعنصر الآري *

وهو كاتب فرنسي عاش ما بين ١٨١٦ - ١٨٨٢ وله غير ما سبق من كتاب : « بيان القيمة الذاتية للانسان الآري » ..

وكتاب : « عدم التساوى بين الناس » وله تأثير على نيتشه
 Nietzsche الفيلسوف الألماني ، و فاجنر Wagner الموسيقي
 الألماني الكبير وكذلك على تشمبرلين Chamberlain الكاتب الانجليزي
 وصاحب كتاب : « القرن التاسع عشر في أهمية العقل الآري (١)
 في تاريخ المدنية » . . وقد عاش هذا الكاتب ما بين ١٨٥٥ -
 ١٩٢٧ .

وفي بداية نشأة علم الأجناس كانت تحدد « العنصرية » بأنها
 اعتقاد بأن الأجناس البشرية بفطرتها تحدد حضارتها . وتنطوي
 هذه الحضارة عادة على فكرة : أن جنسا خاصا يتميز على غيره ،
 وأن له الحق في أن يحكم الآخرين .

كما كان البعض الآخر يحدد « العنصرية » في علم الأجناس
 البشرية بمجموعة كبيرة من الناس يرتبط بعضها ببعض عن طريق
 رباط مشترك عام من خصائص : جسمية وعقلية . . وتنفصل عن
 غيرها من المجموعات ، وتتميز عنها بهذه الخصائص كذلك .

وكانوا يذكرون من علامات الجنس : طول الجسم - وصورة
 الوجه - وشكل الرأس - ولون العينين - ولون البشرة - ولون
 الشعر - وفروق الدم .

وبلومينباخ Blum nba في القرن التاسع عشر كان يحدد
 العنصريات :

بالعنصر القوقازي ،

والعنصر المونجولي ،

(١) والآري هو : الشريف أو السيد ، وفي نظر جوبينو
 Gobineau هو الجرمانى الشمالى وأصبح الآن : الألماني أو صاحب
 القرابة معه في الدم من الأوربيين .

والعنصر الماليزى ،

والعنصر الهندى ،

بينما كوفيه Cuvier - وهو عالم فرنسى فى وراثة الحيوان -
وعاش ما بين ١٧٦٩ - ١٨٣٢ - كان يحددها :

بالبيض ،

والصفر ،

والسود ،

وتخصص الأوروبيين فى « علم الأجناس » وكتاباتهم الواسعة.
فى « العنصريات » تعطى اهتمامهم الكبير بما يميزون به أنفسهم.
كصانعى « الحضارة الانسانية » .. وحملتها وبالتالي تعطى
ما يريدون أن يقولونه للآخرين غيرهم من البشر وهو : أن على
هؤلاء أن يلقوا بالقيادة اليهم ويسلموا اليهم زمامها فى طوع ، حتى
لا تنطفىء شعلة الحضارة الانسانية .

والفرقة العنصرية كاتجاه رسمى اليوم فى جنوب أفريقيا ،
وفى روديسيا ، هى قائمة فى واقع الأمر فى الولايات المتحدة الأمريكية ،
وفى الاتحاد السوفييتى الذى زعم « العالمية » فى سياسته فحكام
القوقاز وأوكرانيا مثلا لابد أن يكونوا من « الروس البيض » .

✽ بعد الخلفاء الراشدين :

وليس من الغريب بعد عصور الخلفاء الراشدين : أن يظهر فى
الأمة الاسلامية : « اتجاه العنصرية » فى الحكم ، كمؤشر لسيادة.
الاتجاه المادى فى المجتمع الاسلامى واحلاله محل القيم الانسانية
التي كانت سائدة على عهد الرسول عليه السلام ، وفى فترات على
عهد الخلفاء الراشدين بعده .

ليس من الغريب أن يظهر اتجاه الفرس في تمجيد حضارتهم وتاريخهم ، في مواجهة العرب والأجناس الأخرى .

ولا يفسر ظهور هذا الاتجاه بأن دعوة الاسلام من الأصل بقيت على هامش حياة المسلمين ، دون أن تصل الى العمق في نفوسهم ، كما يدعى بعض المستشرقين والناقلين عنهم فيما كتبوه فيما يسمى : « الفتنة الكبرى » .

وانما التفسير السليم : أن الدعوة الاسلامية بعد أن وصلت الى العمق في نفوس المسلمين على عهد الرسول عليه السلام . أخذ المجتمع الاسلامي يتحول بعد وفاته من مستوى القمة في تطبيق القيم الانسانية . الى مجتمع يميل رويدا رويدا الى أوضاع المجتمع المادى ، فظهرت العصبية أو بما يسمى بالتفرقة العنصرية كأمارات من أمارات هذا المجتمع المادى .

وهذا التحول سنة طبيعية اجتماعية ، اذ أضعف الرباط الانساني الذى قام عليه وتماسك على الأخذ بقيمه ، وهو ذلك الرباط الذى يتمثل في مبادئ الاسلام وتوجيهه .

وكما أن الخير والشر موجودان في عالم الانسان ، فكذلك الاسلام والتفرقة العنصرية موجودان في عالمه أيضا . ولكن السؤال الذى يسأل بعد هذا الوجود الضرورى لكل من الطرفين ، هو :

— هل السيادة في المجتمع للاسلام والقيم الانسانية ، التى تغطى على الأمارات المادية ، ومنها التفرقة العنصرية ؟

— أم أن السيادة للمادية والجاهلية التى تبرز التفرقة العنصرية كظاهرة رئيسية من ظواهرها ؟

عندما سأل حذيفة الرسول عليه السلام عن الخير والاسلام من جانب ، والشر والجاهلية من جانب آخر ، كان يقصد السؤال عن امكانية التحول للمجتمع من وضع الى وضع آخر نقيض له .

- فعند سيادة الاسلام تختفى « العنصرية » وعند ضعفه تبرز « العنصرية » ويكون لها شأن في التوجيه .
- فرباط الاسلام أعم وأشمل . ولذا يطوى أى رباط آخر مهما كان قويا من قبل ، ويخفيه فلا تظهر له سمة من سماته . وان ظهر بعضها فلمدة موقوتة وقصيرة .
- بينما رباط « العنصرية » أضيق مهما كان عدد مجموعته . ولذا يظهر عندما يزول من فوقه ما كان حاجبا له بعمومه وشموله .
- الاسلام يعادى « التفرقة العنصرية » . و « التفرقة العنصرية » صنف للمادية والجاهلية .

محتويات الكتاب

الصفحة	الموضوع
٣	* مقدمة
٤	* في النصوص الاسلامية
١١	* الاسترقاق ومعاملة الرقيق ليس تفرقة عنصرية
١١,٤	* في توجيه الرسول عليه السلام
١٧	* في موقف عمر رضى الله عنه
١٩	* بعد وفاة الرسول عليه السلام
٢٧	* بعد الخلفاء الراشدين
٣١	* محتويات الكتاب

